الفصل الرابع

أحمد رشدى = أبو الهول

obeikandl.com

حاولت بكل جهدى إقناع اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية الأسبق أن يتحـدث ويخرج عن صمته الأبدى – منذ خروجه من منصبه كوزير للداخلية – وأن أجرى معه حوارا مطولا.. أو حتى قصيرا حتى أتعرف منـه إلى جوانب كثيرة أو بعض الجوانب الخطيرة – التى أعرفها تماما وأعرف تفاصيلها – والتى وقعت أثناء توليه منصبه الوزارى..

كان موقف أحمد رشدى «صلبا» وهو عدم الكلام نهائيا فى أى شىء ..لا إلى الصحـف والمجلات المصريـة.. ولا إلى وكالات الأنباء العربية والعالمية... ولا إلى الصحف والمجلات العربية... وحتى يريح نفسـه.. وتسـتريح أعصابه.. تـرك القاهرة وذهب ليعيش أكثـر الأيام فى بلدته «بركة السبع» محافظة المنوفية..

ونظـرا للعلاقة القوية.. والوثيقة التى تربطنى معه. ومع جميع أفراد أسـرته اقترحت عليه أن أذهب إلى منزله فى بلدة «بركة السبع» ويلتقط زميلـى المصور له بعض الصور وهو جالس مـع أبناء بلدته «بالجلابية» ليصالح المتخاصمين. ويوفق بين المتباعدين.. ويتسـامر ويضحك مع بقية المواطنين من أبناء مدينته «بركة السبع»..

ولكن: أحمد رشـدى رفض تماما أيه فكرة فى إجراء أى حوار، حتى مع صديقه الذى تربط بينهما صداقة قوية ومتينة.. منذ أن كان برتبة عقيد فى المباحث العامة – أمن الدولة حاليا – وهو كاتب هذه السطور.

وقال: سوف أظل على هذا الصمت ولا أتكلم أبدا حتى أموت.

قلت له: بعد عمر طويل.. وأطال الله عمرك.. فأنا أقصد من وراء إجراء حوار معك ليس لنشـره الآن.. ولكن للزمن وأنت تعرف جيدا حبى لك. ومدى الحرص على سمعتك. وخوفى عليك.. فلابد أن تتكلم..

لدرجـة أننـى قلت لـه: أنت تعرف جيـدا أننى أعـرف الكثير.. والكثـير.. والكثير عما حدث أثناء فترة توليك منصب وزير الداخلية.. وقد قلت لى الكثير من الأسرار وحافظت عليها حتى الآن.. ولن أبوح بها مدى حياتى إلا بعد استئذانك..

ونظرا إلى وهو يبتسـم ويقول برضه لأ.. علـى رغم أننى أعرف أنك تعرف الكثير.. وفعلا قلـت لك الكثير.. وأتعامل معك كصديق.. وليس كرجل شـرطة.. وصحفى.. وعلى رغم ذلك فلـن أتكلم.. وكفاية عليك ما ذكرته عنى فى كتابك الذى أصدرته قبل ذلك بعنوان «أسـرار وزراء مصـر».. وقد ذكـرت فى الكتاب أشـياء كثيرة.. أنا شـخصيا لم أكن أتذكرهـا.. وأشـياء أخرى ذكرتها بالحرف الواحـد وبكل أمانة وصدق نقلا عنى..

قلت له: طيب.. وماذا يمنع أن أتحدث معك فى أشياء أخرى يريد الناس أن يعرفوها.. ويعرفوا موقفك منها..؟!

قال أحمد رشدى: يا أبو حميد.. أعرفك جيدا وجميع أفراد أسرتى يعرفون مدى الصداقة والأخوة.. والحب الذى يربط بينى وبينك.. وعلى هذا الأسـاس أرجو أن تسـتمر فـى الحفاظ على هـذه الصداقة.. وهذه المحبة.. ولا تكن أنت الذى يحاول أن يثير حولى الكلام..

ويختتم اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية الأسبق كلماته معى قائلا:

اذهب إلى الأخ الفاضل زكريا محيى الدين وحاول بكل شجاعتك.. وإمكاناتك أن تقنعه بالكلام.. فإذا تكلم تعال وقل لى إنه تكلم – وأنا على ثقة كاملة من صدقك – وعندئذ سوف أتكلم وأرد على كل أسئلتك.. وحواراتك..

وسألته: اشمعنى زكريا محيى الدين الذى طلبت منى أن أذهب إليه وأحاول عمل حديث أو حوار معه..

قال: لأنه رجل عاقل..

وانتهى الكلام مع «أبو الهول» العصر.. وهو اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية الأسبق.. الذى يعتبره جميع الناس فى مصر. والعالم العربى.. والمصريون الذين يعيشون.. ويعملون فى الدول العربية.. وكثير من دول العالم.. من أعظم وزراء الداخلية من ناحية كل شىء.. ولم يتكلم عنه واحد من مختلف الناس بكلمة واحدة أساءت إليه.. أو تأتى سيرته فى أى مكان ويختلف علية الناس..

هل تعرفون لماذا.. ؟

الجواب: لأنه.. خرج من الوزارة كما دخلها.. نظيفا .. وطاهر اليدين. وعف اللسان.. ولم يحاول أن ينتقم من أى إنسان من الضباط الذين كانوا يتعاملون معه وهو مساعد أول وزير الداخلية على أنه سوف يخرج على المعاش قبل تعيينه وزيرا للداخلية بشهرين فقط.. بل عندما

تولى منصب وزير الداخلية وقف منهم موقف الرجل الشريف.. واحتفظ لكل منهم بمكانه.. أو وضعه فى مكان أحسن..

هل تريدون المزيد من الأسباب التى جعلت لهذا الرجل اللواء أحمد رشدى «حبا من عند الله» فى قلوب جميع الناس..

يوم علم بوفاة والده وهو مدير أمن القاهرة ذهب إلى بلدته «بركة السبع» ودخل البيت.. واتجه إلى الغرفة الموجودة فيها الجثة..

وفعل ذلك أيضا: عندما علم بوفاة والدته.. ودخل الغرفة التى كانت فيها جثتها ورفع الغطاء الأبيض وقبّل يديها. ورأسها. ثم قبل قدميها.. وكان ذلك وهو يتولى منصب مساعد أول وزير الداخلية.. وقبل اختياره وزيرا للداخلية بشهرين..

هذا هو اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية الأسبق الذى يعيش فى بيته بمنطقة مصر الجديدة. وليس على منزله حراسة.. لا عسكرى ولا ضابط.. ويسير فى الشوارع بمصر كأى مواطن عادى.

الصحة.. والستر...!

إن علاقتى باللواء أحمد رشدى وزير الداخلية «الأسبق» ترجع إلى سنوات طويلة عندما كان برتبة «عقيد» فى جهاز المباحث العامة.. «أمن الدولة» سابقا واستمرت العلاقة بيننا متواصلة دائما.. ورقى فى مسيرة حياته الشرطية.. أو المباحثية.. حتى رقى إلى منصب مفتش مباحث أمن الدولة «فرع القاهرة».

ثم ظل يترقى فى جهاز مباحث أمن الدولة حتى آخر السلم الوظيفى.

ثم عُين مديرا لأمن القاهرة..

ثم مساعد أول وزير الداخلية للأمن.. وهذا المنصب يعتبر بمثابة الرجل الثانى بعد وزير الداخلية مباشرة..

ثم عُين وزيرا للداخلية.. كل هذه المناصب التى تولاها اللواء أحمد رشدى كانت صلتى به..وصلته بى لا تنقطع أبدا سواء عن طريق التليفون.. أم الزيارة له فى منزله..

وعلى رغم كل ذلك لم يغير رقم تليفون منزله.. وقد سألته فى يوم من الأيام.. لماذا لم تغير رقم تليفون منزلك مثل بعض الوزراء..؟

ابتسم وقال: إنه رقم تليفون منزلى لا يمكن أن أغيره أبدا طوال فترة وجودى فى منصب وزير الداخلية..

وسألته: لماذا..؟

قال.. إنه أحد المصادر المهمة جدا فى الحصول على كل ما يخفى على من أشياء.. لأن، أى مواطن لا يستطيع.. أو لا يعرف الوصول إلى مكتبى لإبلاغى.. أو إخطارى. أو إفادتى بأية معلومات تتعلق بالأمن..

«كرسى السلطة»

كل ما قاله اللواء أحمد رشدى أثناء زيارتى له فى منزله هو:.....

لقد أخذت على نفسى «عهدا» منذ خرجت من منصبى كوزير

للداخليـــة.. ألا أتكلـــم أبدا.. ولا أشـــترك فـــى نـــدوات.. أو أدلى بأية تصريحات ســـواء للصحـــف أم المجلات. أم غيرها من وســـائل الإعلام الأخرى.. ولقد حدث وأنت الذى أبلغنى فى يوم من الأيام.. إن إحدى الصحف نشـــرت حديثا أو حوارا دار بين أحـــد محررى هذه الصحيفة وبينـــى احتل صفحة كاملـــة.. وكان هذا الحديث أو الحوار « عبارة عن فكـــرة صحفيـــة» كما تقولون من خيال هذا « المحـــرر» الذى اختلق هذا الحوار.. ؟

وبعد أن انتهيت من حديثك معى تليفونيا عن هذا الحديث الصحفى الذى نســـبه هذا المحرر لى.. أرسلت من يشترى لى هذا الجورنال. وبعد أن قرأت كل ما فيه اتصلت بك وأخذت رأيك ماذا أفعل.. ؟

لقد قلت لى: اتصل تليفونيا برئيس مجلس إدارة الجريدة..

وقلت لى أيضا: أن اتصل بالأستاذ مكرم محمد نقيب الصحفيين فى ذلك الوقت..

ولعلك تذكر – والكلام مازال على لســـان اللواء أحمد رشـــدى وزير الداخلية الأسبق – أننى طلبت منك أن تجرى أنت هذه الاتصالات.

وفعلا.. اتصل بى الصديق العزيز الأستاذ مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيـــين وطلب منـــى أن أكتب إليه مذكرة بتكذيب هذا الحوار من أساســـه.. وأن النقابة مســـتعدة لمعاقبة هذا المحـــرر.. ولكننى رفضت حتـــى لا يحرم هذا المحـــرر من وظيفته.. واكتفيـــت بالكلام فقط مع النقيب..

ثـم اتصلت برئيس مجلس الإدارة.. ومع رئيس التحرير وقلت لهما إننـى لم أدل بأيـة أحاديث - منذ خروجى من منصبى - لأية صحيفة أو مجلة.. وأن ما نشر فى جريدتكما عنى فإنه من أوله إلى آخره «محض اختـلاق. مـن خيال المحـرر» .. الذى لا أعرفه أبـدا.. بل ولا أعرف شـكله.. قد أبدى رئيس مجلـس إدارة الصحيفة اعتـذاره لى.. وكذلك رئيس التحرير..!!

ويسـتمر اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية «الأسبق» حديثه معى فى منزله..«كصديق» قائلا:

أمـا عن موضوع كتابك «كرسـى السـلطة» الذى تم إصـداره فإننى أعتقد أن هذا الكرسـى .. عبارة عن نفق.. أو طريق طويل .. أو شـئت أن تقول.. «سـرداب» له بابـان أحدهما للدخـول.. والآخر للخروج.. وأنا شخصيا لم أشـعر - والحمـد لله - فـى يـوم من الأيـام بالزهو.. والفخر.. والغرور.. والبعد عن الناس.. عندما كنت أجلس على «كرسى السـلطة».. سـواء عندما كنت مديرا لأمن القاهرة. أم عندما كنت أتولى منصـب وزير الداخليـة.. لأن مكتبى دائما كان فى شـوارع العاصمة.. أتجول فيها بسـيارتى.. وعلى قدمى بين جميع المواطنين سواء للتعرف إلى الناس والاستماع الى شكواهم.. أو للوقوف على حركة المرور.. وكانت هذه الجولات تسـتغرق منـى طوال النهار من كل يوم.. أما فى المسـاء فإننى أباشر عمل الوزارة والمسئولية الملقاة على عاتقى من جميع النواحى الأمنية وغيرها حتى انتهت مهمتى وقدمت اسـتقالتى.. ولزمت بيتى..

ومنذ هذا اليوم أخذت عهدا على نفسى أن التزم الصمت ولا أدلى بأية أحاديث للصحف.. أو المجلات.. أو أية وسيلة من وسائل الإعلام إطلاقا سواء كانت محلية.. أم عربية..

ويختم اللواء أحمد رشدى كلامه..أو الدردشة معى فى منزله قائلا:

طبعا كلامى معاك الآن.. لا يعتبر سوى حديث إلى النفس «بمعنى» من صديق إلى صديقه.. أو من أخ إلى أخيه. ولعلك تذكر أننى قد تحدثت معك فى أشياء كثيرة جدا عندما كنت مديرا لأمن القاهرة.. وأيضا: عندما كنت وزيرا للداخلية.. وحتى الآن وأنت تحتفظ بهذه الأسرار لأننى أثق فيك ثقتى فى نفسى.. وأعتقد كفاية كده..وقبل أن أنهض من مقعدى يقول لى الصديق العزيز أحمد رشدى: اسمع «يا أبو حميد» إن أهم وأغلى وأعظم شىء فى الوجود هو: «الصحة. والستر وراحة البال. وهذا بالإضافة طبعا إلى .. حب الناس.. والحمد لله على السراء والضراء فى كل أمور الدنيا..»..!!

موقف رائع

قال اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية «السابق» فى نهاية حديثه:

عندما صدر قرار رئيس الجمهورية بتعيينى وزيرا للداخلية وبعد حلف اليمين أمام الرئيس توجهت إلى مكتبى بوزارة الداخلية وبعد أن انتهيت من وفود المهنئين من قيادات الشرطة وغيرهم كان أول عمل لى: أن أمسكت بالقلم وكتبت استقالة ابنى محمود «النقيب» بجهاز

الشـرطة.. والغريب أن ابنى لم يعلم بذلـك إلا صباح اليوم التالى عندما كان يسـتعد لارتـداء ملابس الشـرطة وقلت له: لا ترتد بدلة الشـرطة لأننى كتبت بخط يدى اسـتقالتك أمـس وفى نفس الوقت وقعت عليها «بالموافقة» بصفتى وزيرا للداخلية.

سـألنى ابنى محمود قائلا: وما هى الأسـباب التى جعلت حضرتك تفعل ذلك؟

قلت له: حتى أعصمك من الأخطاء التى قد تقع فيها ويقول الناس.. إنه ابن وزير الداخلية...!!

□□□

obeikandl.com